شُموليّة خلاصِ المسيح في رسالة القديس بولس
(بحسب سَرد سِفر أعمال الرسل)

١- رسالة يسوع المسيح ورسالة الكنيسة الأولى

هناك جُمَل محدَّدَة، سَواء في الإنجيل أو في العهد الجديد، خضعت لِتفسيرات عديدة ومتباينة، مما يؤدِّي بوضوح إلى بعض اللَّبس. مثلاً في سفر أعمال الرُّسل نقرأ أنه عندما ارتفع يسوع إلى السماء تكلَّم لِلمرَّة الأخيرة مع رُسله، قائلاً: (...) *ستنالون قوة عندما يحلُّ عليكم الروح القدس؛ وستكونون لي شهودًا في أورشليم وكلِّ اليهودية والسامرة، وحتى نهاية الأرض* (أع ١/٨). وقد عارض البعض بِأنَّ كلمة *أرض* (باليونانية: ges، وبالعبرية: aretz) في ذلك الإطار تعني فقط أرض إسرائيل، وذلك لأن هذا هو ما كان اليهود يفهمونه من كلمة ‹أرض› (إلى اليوم، هناك مكان عام معروف للعبرانيين اسمه ‹أرض إسرائيل› - eretz Israel)؛ وقد توجَّه يسوع دائمًا إلى رُسله – وقد كانوا كلهم عبرانيين – مُتَّبعًا العادات واليهودية ومستخدمًا مفردات لغتها.

مع أن ما ذكرناه هو بالفعل شيء حقيقيٌّ، إلا أننا يجب أن نتذكَّر أن خاتمة إنجيل متى تقدِّم الوصية الأخيرة ليسوع – والتي يُطلَق عليها اسم: ‹الوصية الإرسالية› – وقد وُجِّهت بواسطة الكلمات التالية: *اذهبوا إذًا وتلمِذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس...* (متى ٢٨/١٩). والتعبير الذي استخدمه متى هنا هو: ta ethn، والذي يعني – بما لا يَدَع مجالاً لِلخطإ – «الأمم» (بِالعبرية goyim)، والذي كان يشير ويُفهَم منه بالضبط عكس التعبير السابق المذكور: أي كل الأمم ما عدا إسرائيل، الذي كان من غير الممكن اعتبارُه جزءًا من «الأمم» أو «الوثنيين». وقد استغلَّ البعض ذلك الفرق لكي يتحدَّثوا عن تقليدَين حول الإرادة الإرسالية للمسيح: واحد لِمتَّى يتحدَّث عن تبشير الأمم، وآخر للوقا (وهو كاتب سفر أعمال الرسل) يتحدَّث عن حمل بشارة الإنجيل إلى أرض إسرائيل. وقد توقَّف قليلون عند كَون لوقا يتحدَّث أيضًا عن ‹الأمم›، عندما يقول مثلاً: (...) *وباسمه سيَبَشَّر بمغفرة الخطايا لجميع الأمم، بدءًا من أورشليم* (لو ٢٤/٤٧) [١]. التعبير المُستَخْدَم هو *ethne* (أمم)، ويُوجَد هنا داخل ما يُسَمَّى بالتقليد الخاص بِلوقا.

١) *رسالة المسيح شخصيًّا*

بالنسبة لإرادة يسوع الإرسالية، يمكننا أن نندهش من بعض الجمل التي قالها ربنا يسوع المسيح في الإنجيل، مثلاً: *لم أرسل إلاَّ لِلخراف الضالة من بيت إسرائيل* (متى ١٥/٢٤)، عندما كان يردُّ على المرأة الكنعانية [٢]

١- Eis Panta te ethne، يترجم بدون أي احتمال لخطإٍ: ‹لِكل الأمم›.

٢- «السورية الفينيقية» بحسب رواية مرقس ٧/٢٧.

التي كانت تطلب شفاء ابنتها، وقد أضاف بطريقة أكثر قسوة أيضًا بقوله: *ليس جيدًا أن يؤخَذ خبز البنين وأن يُلقَى لِصغار الكلاب* (متى ١٥/٢٦)، في إشارة واضحة لأصلها الوثني.

وقد أدَّى ذلك إلى أن يرسي اللاهوت الكاثوليكي، وبخاصة القديس توما الأكويني، ما يُسمَّى *بالرسالة الشخصية للمسيح*: «كان من المناسب أن تتوجه بشارة المسيح، سواء الشخصية أو التي قام بها الرسل، إلى اليهود فقط في البداية...» [٣]. والأسباب التي يسوقها هي كالآتي:

١- لكي يُظهر أنَّ النُّبوءات القديمة التي أُعطِيتَ لليهود وليس للوثنيين قد تحققت بمجيئه.

٢- لكي يثبت أن مجيئه ينبع من الله، إذ كما يُقال في رو ١٣/١: *إنَّ الأشياء النابِعة من الله تكون مُرَتَّبَة*. وذلك الترتيب كان يتطلَّب أن يُقدَّم تعليم المسيح أولاً لليهود، الذين كانوا أقرب لله بالإيمان وبِالعبادة التي يُؤَدّونها لإِله واحد، وأن يُوَصَّل ذلك التعليم، بِواسطتهم، إلى الوثنيين.

٣- لكي يُفَوّت على اليهود فرصة الافتراء عليه.

٤- بواسطة انتصار الصليب استحقَّ السلطان والقدرة على جميع الأمم.

بالنسبة للشاهد المذكور من متى ١٥/٢٤، يجيب القديس توما على تلك الصعوبة ذاكرًا بِدَوره القديس إيرونيموس: *هو لا يقول بِذلك إنه لم يُرسَل إلى الوثنيين، بل إنه أُرسِل أوّلاً إلى إسرائيل*. ذلك بالنسبة لما يتعلَّق بِرسالة المسيح الشخصية.

٢) *رسالة الرُّسل*

فور صعود يسوع إلى السماء، تلقَّى الرُّسل التكليف بعدم البقاء هناك. كان من الضروري العودة إلى أورشليم والاستعداد لِتحقيق الرِّسالة التي أوصَى بها المسيح بِإعلان الإنجيل [٤]. ونحن نعلم أنَّه بعد ذلك بوقت قليل، وبينما كانوا مجتمعين ومواظبين على الصلاة، نزل الروح القدس عليهم لِلمرَّة الأولى، ودفعهم في الحال إلى أن يقدّموا الشهادة بِشجاعة للمسيح – حتى عندما كانت هناك أسباب للخوف – وذلك بِلُغات مختلفة، وقد فهمهم كثير من اليهود الآتين من مختلف الأمم (راجع أع ٢/١-١٢). وبما أنَّ ذلك قد تزامَن حدوثُه مع عيد الأسابيع اليهودي، فقد

٣- توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، ٣، ٤٢/١.

٤- أع ١/١٠-١٢: *وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق، إذا رجلان* قد مَثَلا لَهم في ثيابٍ بِيض ، وقالا: أَيُّها الجَليليُّون، ما لَكُم قائمينَ تَنظُرونَ إِلى السَّماء؟ فيسوعُ هذا الَّذي رُفِعَ عَنكُم إِلى السَّماء سَيأتي كما رَأَيتُموه ذاهبًا إِلى السَّماء. فرَجَعوا إِلى أُورَشَليمَ مِنَ الجَبَل الَّذي يُقالُ له جَبَلُ الزَّيتون، وهُو قَريبٌ مِن أُورَشَليم على مَسيرةِ سبْتٍ مِنها.

كان من المنطقي أن تكون أورشليم عندئذ مليئة بِيهودٍ يأتون من أماكن مختلفة (راجع أع ٢/٥). كما أن الخطاب الذي يُلقيه بطرس في أعقاب ذلك يكون موجَّهًا بوضوح لِليهود: *أيها الرجال اليهود وكل من يسكنون في أورشليم*... (أع ١٤/٢).

يبدو أنَّ وصية المسيح قد فُهِمَت في البداية كأمر بالتبشير والوصول حتى إلى اليهود الساكنين خارج فلسطين. لذلك سيحتاج بطرس إلى رؤية مِن السماء – تلك التي بها المنديل النازل من السماء ويحتوي على كلّ أنواع الحيوانات، الطاهرة وغير الطاهرة [٥] – لكي يَفهم أن مشيئة الله هي التبشير أيضًا لِلأمم: *«بِالحقِّ أنا الآن أفهم أنَّ الله لا يُحابي الوجوه، بل في كلِّ أمة، الذي يتَّقيه ويصنع البِرَّ يكونُ مقبولاً لديه»* (أع ١٠/ ٣٤-٣٥). ومن بعده ستفهم الكنيسة كلُّها أيضًا: *فلما سمعوا ذلك سكنوا، وكانوا يمجّدون الله قائلين: إذًا قد أعطى الله الأمم أيضًا التوبة للحياة!* (أع ١٨/١١).

كلٌّ منّا لديه الخبرة بأنه على الرغم من تعاليم الله وتحذيراته، فإنَّ الطبيعة البشرية الساقطة غيرُ طيّعة ولا تقبل التأديب وتحتاج إلى العديد من الإعادة لكي تقتنع بالخير – إلى جانب احتياج كلّ واحدٍ لاختبار الفوائد في جسده نفسه. ولذلك فإنه حتى بعد الحكم الذي أشرنا إليه سابقًا، فإنَّ العدد التالي يعلمنا أنَّ *الذين تشتَّتوا من جرَّاء الضيق الذي حصل بسبب إسطفانوس اجتازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية، وهم لا يكلّمون أحدًا بالكلمة إلا اليهود فقط* (أع ١٩/١١). لقد كان ضروريًّا أن يأتي بعض الداخلين (prosélitos) القادمين ليس من أورشليم بل من أماكن أخرى – بصفة ملموسة من قبرص وقيروان – الذين *لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرَّبِّ يسوع* (راجع ٢٠/١١). وقد ثبَّت الرَّبُّ ذلك الاختيار ببركات وفيرة وعجائب: *وكانت يد الرَّبِّ معهم، فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرَّبِّ* (أع ٢١/١١). كان ذلك النجاح الذي تمَّ مع الوثنيين في أنطاكية كبيرًا لدرجة أنَّ الكنيسة أرسلت إلى هناك برنابا، وهذا بَحَثَ عن شاول (بولس) ليساعده، وهناك بدؤوا يُعْرَفون باسم ‹مسيحيين›، وهو اسم مختلف تمامًا عن التسمية التي كانت تُطلَق عليهم من اليهود وهي *الناصريين* (راجع أع ٢١/١١-٢٦).

٢- رسالة القديس بولس

الفصل الثالث عشر من سفر أعمال الرسل يُدخلنا بِالمِلء إلى رسالة القديس بولس. فالروح القدس يأمر مباشرة الكنيسة المحلية في أنطاكية أن *تفرز بولس وبرنابا للرسالة التي عيَّنَها الرَّبُّ* (أع ٢/١٣). وهما يتوجَّهان أولاً إلى قبرص، مُبشِّرين دائمًا في البداية في مجامع اليهود (راجع ٥/١٣). ومع ذلك فإنهم منذ البداية لا يَرفضون الاستجابة لِطلب الوثنيين، مثل الوالي سرجيوس بولس، الذي من بافوس، *الذي كان يرغب أن يسمع كلمة الله* (راجع ٧/١٣).

١- *نقطة انطلاق رسالته إلى الوثنيين*

من قبرص ينطلقان نحو برجة بمفيلية (جنوب تركيا الحالية)، وأكملوا نحو المنطقة المهمة التي هي أنطاكية بِسيدية، تقريبًا في قلب آسيا الصُّغرى. وهناك ذهبا يوم السبت إلى المجمع حيث يدعونهم للكلام (راجع ١٤/١٣-

٥- راجع أع ١٠/ ٩-١٦.

١٥)، فَتُتاح بذلك الفرصة لبولس لأن يوجّه واحدةً من أشهر خُطَبِهِ (وهي *خُطبة مجمع أنطاكية بِسيدية*؛ راجع أع ١٣/١٦-٤١). كثيرون من اليهود الذين سمعوا آمنوا. ثم دُعيا إلى التكلُّم من جديد في السبت التالي، ولكن هذه المرَّة، *اجتمعت كل المدينة تقريبًا لِتسمع كلمة الله* (١٣/٤٤). وأمام ذلك المشهد، وبسبب الحسد، عارضهم كثيرٌ من اليهود وشتموهم. ويجيب بولس بقوة كبيرة: *كان يجب أن تُعلَن كلمة الله لكم أولاً، ولكن إذ رفضتموها وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية، هوذا نحن نتوجَّه إلى الأمم* (أع ١٣/٤٦). ثم يذكر بعد ذلك أشعيا (٤٩/٦) كأساس لقراره: *لأنَّ هكذا أوصانا الرَّبّ: «قد أقمتك نورًا لِلأمم، لتكون أنت خلاصَهُ إلى أقصى الأرض»* (أع١٣/٤٧).

توجد بعض العناصر التي يجب ملاحظتها في حكم بولس هذا. في المقام الأول، أن الرَّسول غير مُعتادٍ على التوجُّه لِلأمم قبل الفشل مع اليهود ومعارضتهم له. في الواقع، نجد أن الظروف قد أجبرته على ذلك، حيث أن «المدينة قد اِجتمعت كلها تقريبًا». إذ يمكن أن نعتبر أنه وجد نفسه مُجبَرًا على فعل ذلك. كما أنه كان من البديهي أن الأولوية لسماع إعلان الإنجيل كانت لِليهود (وهو شيء مُشابِه لِما حدث مع رسالة يسوع الشخصية)، ولكن أمام الرفض الواضح من جانبهم، وهو ما يؤدّي إلى نوع من عدم التناسب (أي عدم الاستحقاق) للحياة الأبدية، حينئذ يتوجَّه إلى الأمم[٦]. هنا يظهر لِلمرَّة الأولى المؤشِّر على أن عدم إيمان اليهود هو فرصة لإعلان الإنجيل لِلأمم، حتى وإن لم يكن يستبعدها من قَبل أيضًا، استنادًا إلى وصية المسيح. ولكن عدم إيمانهم هذا سيسمح أن يبدأ الفهم العميق لِتلك الوصية. وكردّ فعل لذلك *تفرح الأمم ويمجدُّون كلمة الرَّب، وآمن جميع الذين كانوا مُعَيَّنين (استحقاق) للحياة الأبدية* (راجع ١٣/٤٨). والعنصر الثالث الذي يجب أخذه في الاعتبار هو تفسير النص المأخوذ من أشعيا والذي يقوم به الرسول: إنه يفهم أنَّ المسيح هو نور الأمم – ولا يمكن أن يكون آخر – ويفهم بِالتالي أن ما يُذكَر هناك في أشعيا هو «أمرٌ من الرَّبِّ». من الغالب أنَّ بولس كان مُدركًا وصيةَ الرَّبِّ بإعلان البشارة والتي أعطاها يسوع قبل صعوده والموجودة في إنجيل متى. يمكن اعتبار ذلك رابطة بين نص أشعيا، الذي يشير إلى يسوع، وبين تفسيره ‹كأمر من الرَّبِّ›.

عمل القديس بولس الرسولي، هو وبرنابا، يستمر في مدن آسيا الصغرى الأخرى، غير البعيدة عن أنطاكية، ولكن نزولاً من بِسيدية إلى بمفيلية، على البحر المتوسط، حتى الوصول إلى أطاليا (أنتاليا الحالية الموجودة في تركيا). وعند عودتهما لاحقًا إلى المكان الذي انطلقا منه، وهو أنطاكية السورية، سيَرويان إلى الكنيسة المجتمعة كيف *فتحا لِلأمم باب الإيمان* (أع ١٤/٢٧). يمكن اعتبار أن الرسالة إلى الأمم قد بدأت بِكلِّ قوة؛ والآن سيبدأ انتشارها.

٢- *نقطة تغيير الاتجاه في أعمال الرسل*

الحدث أو الواقعة التي يُمكن اعتبارها نقطة التَّحوُّل في سِفْر أعمال الرُّسل، والتي من بعدها يصير بولس البطل الأوحد في ذلك السِّفْر، والتي ستؤدّي من جهة أخرى إلى نقطة اللاعودة في رسالة بولس تجاه الأمم، هي واقعة ما يُسمَّى بمجمع أورشليم والقرارات التي اتُّخِذَت فيه.

٦- (مِن اليونانية حيث يوجد تعبير «پْروتُنْ» الذي يشير بوضوح إلى الأولوية، وتعبير آخر يُشير إلى الرفض، وتعبير آخر إلى عدم الاستحقاق. الوُصف بـ «پْروتُنْ» يشير بوضوح إلى الصدارة والأولوية والتقدّم، ولكن أولوية ترتيب فقط، بدون إقصاء العناصر الأخرى.

يجب أن نلاحظ أنه في بداية الفصل الخامس عشر، يؤكِّد سفر أعمال الرُّسل *أنَّ قَومًا من الذين انحدروا من اليهودية جعلوا يعلِّمون الإخوة أنَّه إن لم تَختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا* (راجع ١/١٥). ويَتَخَوَّف بولس عندما يلاحظ وجود تيارٍ تَهوِيديٍّ قويٍّ في أورشليم من قِبَل بعض التلاميذ يصل إلى أقصاه إذ يربط الخلاص بِتتميم شريعة موسى. وأمام أهمية الحالة، يقرِّر بولس وبرنابا – وكذلك كنيسة أنطاكية التي أرسلتهما – أن يذهب كلاهما إلى أورشليم لاستيضاح الأمر مباشرة مع الرُّسل (راجع ٢/١٥).

من المؤكَّد أن بولس لا يُضيِّع فرصة رواية أعمال الله مع الأمم من خلاله؛ وسيفعل نفس الشيء في طريقه لأورشليم وأيضًا أمام شيوخ الكنيسة المجتمعين هناك، بادئًا حتى قبل بُلوغِهِ المدينة (راجع ٣/١٥-٤)، وبطريقة رَسميّة مَهيبة خلال المجمع، وذلك ردًّا على المشاداه التي سبَّبها الفرِّيسيُّون الذين صاروا مؤمنين، فيُوليهِ حينئذ السامعون اهتمامًا كبيرًا إذ يستمعون له *بسكوت عظيم* (راجع ١٢/١٥). وسيعترف بطرس في ذلك الحديث بالدعوة التي تلقَّاها هو نفسه عندما كان يبشِّر بعض الوثنيين (راجع ٧/١٥-١٠)، وأخيرًا يُعلِن يعقوب نفسه – وكان يُعتَبَر رأسَ الكنيسة المحلِّيَّة والأكثر أَهْلِيَّةً لِتقييم العادات اليهودية – أمام الجميع أنه لم يكن من الضروري إجبار الأمم على اتِّباع شريعتهم اليهودية (راجع ١٩/١٥)، مُوصيًا بِأن يُرسَل إليهم *بأن يَمتنعوا (فقط) عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم* (أع ٢٠/١٥). ليس المقصود من ذلك أشياءَ منفصلة عن بعضها البعض كما قد يبدو لأول وَهلة. فالزنا يعني هنا ممارسة الزنا المقدَّس، والذي كان شائعًا عند الشعوب الوثنية وكان مرتبطًا بعبادة الأوثان؛ *ونجاسات الأصنام*[٧] تشير إلى اللحوم والأطعمة المكرسة لِتلك الأصنام والتي كانت تُباع في الأسواق. *والمخنوق* هو اللحم الذي لم يُسفَك دمُه إلى النهاية، كما كان من المعتاد بحسب الممارسة الدينية اليهودية (kosher)؛ فالدم كان مُحرَّمًا تمامًا في شريعة موسى. ومن المثير أن نرى كيف كانت هناك حتى هذه اللحظة تساهلات هامة فيما يختص بشريعة موسى. بعد ذلك، عندما ستكتسب الكنيسة طابعًا يغلب عليه وجود الأمم، ستختفي تلك التَّحَفُّظات جميعِها تقريبًا ما عدا ما يخص الزنا. بولس نفسه سيعلن أن اللحوم المذبوحة المخصَّصَة للأوثان ليس لها أية قيمة[٨].

٣- *مِلءُ الرسالة إلى الأمم*

المرسوم الناتج عَمَّا سُمِّيَ بِمجمع أورشليم جلب تعزية حقيقية للكنائس التي كان عدد الوثنيين يزداد فيها يومًا بعد يوم، بدءًا بِأنطاكية سوريا (٣١/١٥)، ثم كنائس آسيا الصغرى التي كان القديس بولس قد بَشَّرها (٤/١٦) والتي كانت تتقوَّى في الإيمان (٥/١٦). ومن الواضح أنَّ سفر أعمال الرُّسل نفسه قد بدأ، انطلاقًا من ذلك الفصل، إلى تركيز اهتمامِهِ على الرسالة إلى أولئك الوثنيين. وبالفعل، بعد تثبيت كنائس آسيا الصغرى، يدعو الروح القدس بولس إلى الذهاب إلى أوروبا للمرة الأولى من خلال الرؤيا التي فيها يطلب إليه رجل مَكِدونيّ المساعدة (٩/١٦).

٧- التعبير الدقيق المستخدم في الكتاب هو «ما دنسته الأصنام».

٨- راجع ١ كور ١/٨ ت.

وكذلك الصعوبات الخاصة بالتبشير سيكون مكانها ومركزها الآن العالمَ الوثني، على الرغم من أن اليهود غير المؤمنين سيستغلون كثيرًا من الفرص ليثيروا الفِتَن. ثلاثٌ هي الضيقات الرئيسية التي سيقدمها ذلك الجزء من سفر أعمال الرُّسل، وكلُّها بسبب انتشار الإنجيل:

١) الأولى ستحدث في فيلبي، وهي أول مدينة مَكِدونية يؤسِّس فيها القديس بولس كنيسة، وستكون واحدة من أحب الكنائس إليه. هناك، وبسبب إخراج الشياطين الذي يقوم به بولس والذي يُخرج من خلاله روحًا شريرًا من جارية عَرَّافة، وبالتَّالي يَفقد مُستغلُّوها ما كانوا يكسبونه من نقود بسبب روح العرافة، يؤدِّي ذلك إلى تحريضهم على ثورة تنتهي بِوضع بولس وسيلا في السجن (١٦/ ١٩-٢٤). تحرير بولس العجائبي سيكون فرصة لاهتداء السَّجَّان وعائلته وهم أيضًا من الوثنيين (١٦/ ٣١-٣٤).

٢) الضيقة الثانية ستحدث في تسالونيكي وسيكون لها آثار قليلة أيضًا في بيريَّة، وهي من جرَّاء تآمُر اليهود غير المؤمنين الذين يتصرَّفون بغيرة عند إدراكهم أن كثيرًا من المُهتَدين اليونانيين قد قبلوا تعاليم بولس (١٧/ ٥-١٤).

٣) الثالثة هي المعروفة باسم *فتنة أفسس*، في المدينة التي تحمل نفس الاسم، بسبب صانعي الفضة الذين كانوا يقومون بِصنع تماثيل أرطاميس، وهي الإلَهة الوثنية الخاصة بتلك المدينة، وقد رأوا أنهم يفقدون مصدر دخلهم بسبب الاهتداءات التي كان بولس يُسَبِّبها (١٩/٢١-٣٩). ويحدث ذلك خلال الرحلة الثالثة للرسول.

في الوسط نجد خطاب بولس في الأَرْيوباغُسْ في آثينا، وهو من أجمل مقاطع العهد الجديد. وبدون الدخول في تفاصيل، يمكن أن نلاحظ كيف يعظ الرَّسول أمام جمهور وثني، مرتكزًا على حجج عقلانية وعلى ضرورة الاعتراف بإِلهٍ خالق، ربٍّ للجميع (١٧/ ٢٢-٣١)، إلى جانب ذكره لِبعض الشعراء اليونانيين (راجع العدد ٢٨).

من بين الأحداث الأخرى لِتلك الفترة نجد عظة بولس في كورنثُس، حيث يؤكّد له الروح نفسه أنه قد اختار له شعبًا كثيرًا في تلك المدينة (١٨/١٠). هناك سيعلن بولس قراره الثابت بتكريس ذاته لتبشير الأمم، بما أنَّ اليهود قد رفضوا الإنجيل (راجع ١٨/٦). وقد مكث عامًا ونصف في كورنثس، وأتى بثمار كثيرة (١٨/١١). وبالمثل في أفسس، خلال رحلته الثالثة، يتكرَّر نفس المنهج. أمام رفض اليهود في المجمع، يبدأ تعليم الوثنيين في مدرسة رجل يُدعَى تيرانو (١٩/٨)، ماكثًا في تلك المدينة أكثر من سنتين.

٤- *تتويج رسالة بولس*

على الرغم من كوننا نعرف جيدًا أن آواخر سفر أعمال الرُّسل لا تشير إلى ختام النشاط الرَّسولي للقديس بولس، فإنَّ أغلبية ذلك النشاط توجد داخل ذلك السفر حيث تُروَى الأحداث الأكثر أهميةً. الكتاب نفسه يتكفَّل بتتويج رواية النشاط البولسي بطريقة احتفالية عظيمة ذاكرًا الخُطَب العظيمة والدرامية التي اضطر القديس

بولس أن يلقيها للدفاع عن نفسه أمام كثير من الأحداث والأشخاص، وكلهم في أرض فلسطين حيث بدأت الكنيسة في التواجد.

في المقام الأول نجد الخطاب الشهير أمام الشعب في أورشليم (أع ٢٢/١-٢١)، والذي سيلقيه القديس بولس بنفسه ‹كدفاع شخصي› (راجع العدد الأول)، و‹باللُّغة العبرية› (راجع العدد الثاني). وهو عمل دفاعي حقيقي يُبيّن فيه الرسول بكل تأكيد انتماءه لِليهودية، ولكنه يدقّق أيضًا على ضرورة الاهتداء إلى المسيح من أجل الخلاص. وهنا سيذكر تفاصيل لم تكن قد ذُكِرَت من قبل، حول الاختطاف الذي حدث له في الهيكل، والذي فيه تنبأ له الرَّبُّ بِنفسِه عن عدم إيمان يهود المدينة المقدسة (راجع ٢٢/١٨) والإرسال إلى الأمم البعيدة كأمر من الله نفسِهِ (راجع ٢٢/٢١). هنا سيظهر بوضوح كيف أن إعلان رفض إسرائيل والرسالة إلى الأمم الناتجة عن ذلك الرفض يمثّل السبب الرئيسي لِغضب اليهود (راجع ٢٢/٢٢ت).

الخطاب الثاني كان أمام رؤساء الشعب، أي أمام المجمع، والذي سينتهي بِلَبْسٍ كبير (راجع أع ٢٣/١-١٠). والثالث أمام الوالي فيلكس واليهود المتَّهِمين إيَّاه، في القيصرية الساحلية (أع ٢٤/١٠-٢١). والخطاب الرابع، أخيرًا، في نفس المدينة أمام الملك أغريبّا وزوجته بَرْنيكي والوالي فِستوس (أع ٢٦/٢-٢٣)، وهو العمل الرئيسي للدفاع البولسي، حيث تُروَى للمرة الثالثة في سفر أعمال الرسل – وللمرة الثانية على لسان بولس نفسه – واقعة اهتدائه.

وينتهي سفر الأعمال بِوصول بولس إلى روما. هناك يجتمع اليهود ليسمعوا شهادته، لدرجة أن بعضهم يؤمن وكثيرون يرفضون ذلك. ويرد الرسول بطريقة رسمية مَهيبة ذاكرًا كلام النبي أشعيا حول قساوة إسرائيل [٩]. وسيضيف القديس بولس أن *الخلاص قد أُرسِل إلى الأمم وهم سيسمعون* (راجع أع ٢٨/٢٨). وبهذا الحكم النهائي الذي يوضِّح الرسالة إلى الأمم في أَوْجِها ورفض إسرائيل الثابت والمستمر بطريقة عملية، ينتهي سفر أعمال الرسل.

لا شك أن قلب رسالة القديس بولس التي رفضها اليهود – وقد صار ذلك الرفض نفسه فرصة لتبشيره الأمم – قد أدَّى إلى الفكرة الأخيرة التي وصلت المسيحيين بواسطة سفر الأعمال.

٩- نفس الشيء يوجد في أشعيا ٦/٩-١٠، لدرجة أن رواية القديس بولس في أع ٢٨/٢٦-٢٧ تحتوي على تغيير طفيف جدًّا، غالبًا يعود إلى الترجمات المستعملة آنذاك، أو لأنه ذكرها من ذاكرته. يقول أشعيا ٦/٩-١٠: «اذهب وقل لهذا الشعب: ‹إسمَعوا سَماعاً ولا تَفهَموا وآنظُروا نَظراً ولا تَعرِفوا. غَلِّظْ قَلبَ هذا الشَّعْب وثَقِّلْ أُذُنَيه وأَغمِضْ عَينَيه لِئَلاَّ يُبصِرَ بِعَينَيه ويَسمَعَ بِأُذُنَيه ويَفهَمَ بقَلبه وَيرجعَ فيُشْفى›. » . ويقول في سفر الأعمال ٢٨/٢٦-٢٧: « اذهب إلى هذا الشعب وقل: ‹تَسمَعونَ سمَاعًا ولا تَفهَمون وتَنظُرونَ نَظَرًا ولا تُبصِرون. فقَد غَلُظَ قَلْبُ هذا الشَّعْب وأَصَمُّوا آذانَهم وأَغمَضوا عُيوَنَهم لِئَلاَّ يُبصِروا بِعُيونِهم وَيسمَعوا بِآذانِهم ويَفهَموا بِقُلوبِهم وَيرجِعوا .أَفأُشْفيهم؟›. ».